الفصل التاسع

الدخول في صلب الموضوع

يقضي الأطفال والشباب ـعادةًـ خارج المدرسة وقتًا أكثر مما يقضونه داخلها، وللآباء والأسرة تأثير كبير في تحصيلهم في المدرسة، وعندما تعمل المدرسة والآباء والأسرة معًا بالطرائق الصحيحة، يحصل كل من شارك في الأمر فوائد جمة، ويُطبق ذلك من خلال المجموعات الاجتماعية والاقتصادية كافة؛ معنى هذا أن أحد أكبر التعقيدات عند للمدارس والطلاب الآن، على حد سواء، هي التغييرات العميقة في طبيعة الأسرة، إذن: من نعني بالآباء؟

ثمة إجابة بيولوجية ـعادةـ لكن الإجابة الاجتماعية غالبًا ما تكون أكثر تعقيدًا، ففي الولايات المتحدة، توجد قلة من الأطفال حاليًّا تعيش مع والدين بيولوجيين في أسرة نووية تقليدية[1]. كثير من الأطفال يعيشون مع أحد الوالدين، بسبب الطلاق أو الانفصال أو لأن الوالدين لم يكونا في زواج مستقر أصلًا، وبعض الأخوة والأخوات لهم الأم نفسها ولكن لهم آباء مختلفون ـأو العكسـ يعيشون بعيدًا عنهم، وثمة بعض الأطفال يعيشون في أسر مختلطة بها أكثر من والدين، وبعضهم يعيشون في كنف أخوتهم أو أخواتهم أو أقارب لهم، وبعضهم يرعى نفسه.

وثمة عدد قليل، لكنه يتزايد، من الأطفال يقوم بتربيتهم والدان من الجنس نفسه عن طريق تأجير الأرحام أو التبني، وكثير من أولياء الأمور أيًّا من كانوا، يعملون الآن لساعات طويلة جدًّا، غالبًا في أكثر من وظيفة، إن تمكنوا من ذلك، لتلبية الاحتياجات، ونتيجة لذلك يُترك عدد من الصغار لرعاية أنفسهم، بصورة أو بأخرى؛ لذا فالصورة معقدة، وبالنسبة إلى أغراضنا، فإن آباء الطلاب، أيًّا كانوا، هم أول المسؤولين عن رعايتهم خارج المدرسة، وفي بعض الحالات

سيكون أحدهما أو كلاهما آباء بيولوجيين أو آباء بالتبني، وفي حالات أخرى لا هذا ولا ذاك، وأحد التحديات المشتركة بين المدرسة هو معرفة من هم أولياء أمر الطفل بالضبط.

أن تكون والدًا، أمر أصعب كثيرًا مما كنت تتصور قبل أن تصير والدًا، ثق بي؛ يمكن أن يكون ثمة إنجاز رائع في مشاهدة أطفالك يكبرون، والشعور بنمو علاقتك بهم، لكن عددًا كبير من أولياء الأمور يكافحون الآن، على نحو متزايد مع التحديات العملية والمادية، لرعاية أسرة مع الحفاظ على الموازنة بين المتطلبات العاطفية لمختلف الأدوار التي يقوم بها الوالد.

إن الأطفال يتغيرون أيضًا، فهم ينضجون جسديًّا أسرع من ذي قبل، وهم يقعون تحت ضغط مكثف من أقرانهم، ومن البيئة الثقافية الأوسع، ومن متطلبات العالم الرقمي ومواقع التواصل الاجتماعي القاسية، ومن ضجيج الإعلانات المتواصل الذي يلحُّ عليهم باستمرار لجذب انتباههم، وأموالهم وإحساسهم بالمساواة مع أقرانهم.

فإذا كنت والدًا، فما أفضل أنواع الدعم؟ إنه سؤال معقد، لكن دعني أقدم لك نصيحتين عامتين تستندان إلى البحث والخبرة، وبوساطة هاتين النصيحتين، اعترف لك أيضًا، أنه لا يوجد قواعد متفق عليها بالكامل لكيفية تربية أطفالك وتعليمهم؛ فالأمر يتوقف على الخلفية الثقافية والخبرة الشخصية، وثمة كتب أكبر من هذا تتناول هذا الموضوع وحده، وتقارير وأوراق مدروسة مكدسة فوق الأرفف. تعتقد بعض الأمهات المتنمرات أن التوجيه الصارم، والسيطرة، والانضباط هو طريقة التربية السليمة[2]، بينما تعتقد أمهات أخريات أن دور التيسير والإرشاد هو الطريقة المثلى[3].

يتوقف موقعك على الطيف على عوامل عدَّة، وحتمًا ستكون أي نصيحة أقدمها لك هنامطعمة بخلفيَّتي واتجاهاتي؛ أنا أقدمها وأنا على يقين من أن ما لدى الآخرين ليقولوه في هذا المجال سيكون مطعَّمًا بخلفياتهم وخبراتهم.

اهتمَّ بالفرد

كنت دائمًا ما أراهن مَن لديهم طفلين أو أكثر، ولم أخسر هذا الرهان قط، ولن أخسره أبدًا، ورهاني هو أن هؤلاء الأطفال يختلفون تمامًا عن بعضهم، وأعرف ذلك لأن الأطفال كلهم متفردون، مثلك تمامًا؛ ربما يتشابهون في أمور معينة، وربما يشبهون بعض أقاربهم، وكذلك

أنا، وأنت أيضًا بالتأكيد، لكن في معظم الجوانب، لا يشبه الأفراد إلا أنفسهم، بأمزجتهم ورغباتهم ومواهبهم وميولهم، ويمكن أن تساعد أطفالك بأن تعاملهم بصفتهم أفرادًا، بعدم افتراض أنهم ينبغي أن يتبعوا المسارات نفسها، ولا أن يُحكم عليهم بالمعايير نفسها في المدرسة.

إن أحد أسباب معاناة كثير من الطلاب في المدرسة هو عدم التعامل معهم بوصفهم أفرادًا مختلفين؛ إذ لا تُعرف مواطن قوتهم الخاصة ولا تقدر، ويعرف أولياء الأمور الواعون أطفالهم أكثر من معظم الناس، بمن فيهم معلمو أطفالهم. وبوصفك والدًا، لك دور أساسي في مساعدة المدارس على تنمية فهم أكثر تنوعًا لصفات الأطفال الفريدة وقدراتهم.

يرسل الأطفال دائمًا إشارات لما سيكونونه، والأمر الجوهري عندنا، بصفتنا آباء ومعلمين، هو أن نتسم باليقظة والانتباه، وقد قدمنا في سلسلة كتب **العنصر** أمثلة عدَّة لأناس حوَّلوا مسارهم في وقت مبكر من حياتهم إلى أنواع مختلفة من الأنشطة، وفي بعض الأحيان لم تكن مواهبهم الحقيقية تظهر للأعين المجردة، مع أن أسرهم ومدارسهم، على حد سواء، تجاهلوها في ذلك الوقت. وتضم هذه الفئة الأطفال الذين كانوا يلعبون بمكعبات البناء (الميكانو أو الليجو) بلا توقف، واستمروا حتى أصبحوا معماريين ناجحين، ورسامي شعارات مبتكرة شديدي البراعة، والذين أصبحوا رسامي رسوم متحركة مشهورين، والأطفالَ الصغار مفرطي النشاط الذين أصبحوا راقصين أو لاعبي جمباز محترفين، والقراءَ الهادئين الذين صاروا أكاديميين مولعين بالدراسة والبحث.

الحياة ليست خطًّا واحدًا

إن أحد مثالب التعليم المقنَّن هو فكرة أن مقاسًا واحدًا سيناسب الجميع، وأن الحياة خطية، والحقيقة هي أنه ثمة مسارات عدَّة يمكن النجاح فيها، وحياة معظم الناس لا تتبع مسارًا مقنَّنا؛ فالناس بصفة عامة يتحركون في اتجاهات غير متوقعة، ويكتشفون رغبات جديدة، أو ينتهزون فرصًا غير مخطط لها، ومن المهم ألا تحدد مستقبل أطفالك في المدرسة بافتراض أن نوع التعليم الذي تعلمتَه سيكون -حتمًا- مناسبًا لهم؛ يمكن أن تفترض أن بعض المواد الدراسية ستكون أكثر نفعًا من غيرها للالتحاق بمجال عمل معين، وقد لا يكون ذلك صحيحًا؛ لأن العالم يتغير باستمرار، ومن ثم فإن أفضل ما يمكنك عمله هو مساعدة أطفالك على أن ينموا، بطرائقهم المختلفة -القدرات العامة التي ناقشناها في الفصل السادس- وعلى تحديد

مواهبهم واهتماماتهم الشخصية التي يستغرقون فيها إلى أبعد حد؛ إنهم سيصنعون حياتهم الشخصية ويعيشونها، كما فعلت أنت، فاهتمَّ كما يجب، وحاول كما ينبغي، لكن لا يمكن أن تفعل ذلك عنهم.

ما اختيارك؟

قلت في مقدمة هذا الكتاب إنه إن كانت لك صلة بالتعليم بأي صورة، فلديك ثلاثة خيارات: يمكنك أن تصنع تغييرًا داخل النظام، أو تضغط لإحداث تغيير في النظام، أو تأخذ مبادرات خارج النظام، ولدى أولياء الأمور أيضًا هذه الخيارات؛ فعندما يعملون مع المدارس، ويعملون على تغييرها، يمكنهم الحصول على نوعين من الفوائد.

إن مشاركة أولياء الأمور في تعليم أبنائهم له علاقة مباشرة بالدافعية والتحصيل، بغض النظر عن الحالة أو الوضع الاجتماعي الاقتصادي أو الخلفية الثقافية؛ فحسب تقرير **موجة جديدة من الأدلة** A New Wave of Evidence، عندما «يتحدث أولياء الأمور مع أطفالهم عن المدرسة، ويتوقعون منهم أداءً جيدًا، ويساعدونهم على التخطيط للجامعة، ويتأكدون أن الأنشطة غير الصفِّية بناءةٌ، يكون أداء أطفالهم أفضل في المدرسة»[4].

وبتواصل المدارس مع الأسر، يمكن أن للمدارس أن تفهم على نحو أعمق اهتمامات الطلاب الذين يتعلمون فيها وشخصياتهم، وعندما تعمل المدارس والأسر وجماعات المجتمع معًا لدعم عملية التعلم، فالأرجح أن الطلاب سيذهبون إلى المدرسة بصورة أكثر انتظامًا، ويبقون في المدرسة وقتًا أطول، ويحبون المدرسة بدرجة أكبر، ويحصلون على درجات أفضل، ويكون لهم معدلات تخرج أعلى، ويلتحقون بالتعليم العالي[5].

إن كثيرًا من التحديات التي تواجهها المدارس بصفة عامة ـومنها تعاطي المخدرات، والتنمر، ومشكلات الانضباطـ قد تظهر في الصفوف، لكنها لا تنشأ فيها؛ فهي تمتد إليها من الخارج، حيث يقضي الطلاب معظم وقتهم وطاقتهم، وإن إنشاء روابط أوثق مع الأسر والمجتمع هو أفضل الأساليب لفهم هذه القضايا والتعامل معها.

في عام 2010م، نشرت جامعة شيكاغو تقريرًا لدراسة استمرت سبع سنوات، قوَّمت تطوُّر المدرسة في المدارس الابتدائية محدودة الدخل، في المناطق الحضرية في شيكاغو[6].

وجدت الدراسة أن المدارس الابتدائية التي تشارك الأسر فيها بقوة، يكون احتمال التحسن في الرياضيات فيها أكبر عشر مرات، وفي القراءة أكبر أربع مرات، من المدارس التي تكون مشاركة الأسر فيها ضعيفة.

وثمة فوائد أخرى لتعاون أولياء الأمور والمدارس؛ فالتعاون بين المدارس والأسر مصدرٌ قويٌللتحسين المدرسي. وكما بيَّنا، ثمة فرص هائلة لدى المدارس، لإثراء تدريسها ومناهجها من خلال الشراكات الإبداعية مع المجتمعات التي هي جزء منها، وعندما تبني شراكات إيجابية مع الأسر، وتستمع إلى أفكارها ومخاوفها في ما يخص تعليم أطفالها، تنزع المدارس إلى خلق بيئات تعلم أفضل وأكثر نجاحًا.

طبقًا لتقرير جامعة شيكاغو، فإن روابط أولياء الأمور والمجتمع هي إحدى الدعائم الأساسية الخمس للنجاح في الإصلاح، والتي تشمل قيادة مدرسية قوية، وجودة هيئة التدريس والعاملين، ومناخ تعلم مركزه الطالب، وانتظامًا شديدًا في المنهج الدراسي، نَسب التقرير لأولياء الأمور ومنظمات المجتمع مسؤوليةَ قيادةتيسيرات المدرسة المحسِّنة والتعيين، وقرارات المناهج ذات التأثير الإيجابي، وتوفير أنشطة مدرسية أكثر وأفضل خارج المنهج، وفي الوقت نفسه عندما تنتظم الأسر والمجتمعات لتحميل المدارس الضعيفة الأداء المسؤولية، يكون التوقع بأن تجري المناطق التعليمية تغييراتٍ إيجابيةً، في السياسات والممارسات والمصادر، أكبر[7].

توجيه الوالدين

من الأمور التي حيرتني لسنوات، كيف امتنعت بعض النظم المدرسية عن استغلال خبرة أولياء الأمور وغيرهم، من أفراد المجتمع المحيط، في تعزيز برامجها؛ فكما رأينا مع ستيف ريز وماينددرايف في موضع سابق من هذا الكتاب، يمكن أن تؤدي مشاركة كهذه إلى إنجازات كبيرة؛ لذلك يبدو أمرًا غير متوقع أنَّ معظم المناطق التعليمية لا تحسن استغلال -بل وقد تتجنَّب- هذه الموارد.

شعر لُو أرونيكا (شريكي في تأليف الكتاب) بالحيرة أيضًا عندما تعامل مع مدارس الأطفال تلك؛ ففي بداية كل عام، كان لُو يخبر معلمي أطفاله: إنه سيكون سعيدًا بمساعدتهم بأي صورة ممكنة في مشروعات الكتابة. ولُو ليس فقط من كُتَّاب كتب الأدب -وغيره- الأكثر مبيعًا، بل هو

أيضًا من المحررين الفائزين بجوائز، إضافة إلى أنه يدرس التربية، مادةً اختيارية في الكلية، وهو معتمد لتدريس اللغة الإنجليزية في ولاية نيويورك؛ لذا لم يكن الأمر يبدو وكأنه يتطوع لإجراء جراحة مجهرية كهاوٍ تحقيقًا لنزوة، ومع ذلك ظل المعلمون والمسؤولون في المدرسة يرفضون -عامًا بعد عام- قبول عرضه، بدلًا من أن يجعلوه يأتي في يومي عمل، وقد ذكر جيران لُو أنهم تعرضوا لموقف مماثل، عندما حاولوا تقديم المساعدة في مجال خبرتهم.

وأخيرًا، هذا العام، بدأت ابنته الصغرى، الطالبة بالمرحلة الابتدائية، سلسلة من برامج التعزيز بعنوان **العناقيد**، فدعوا لو لعمل ورشة عن القصة القصيرة لمجموعة صغيرة من طلاب الصفين الرابع والخامس. استجاب الطلاب في مجموعة لُو بحماس، ومع وجود جدل حول أن مجموعتهم كانت الوحيدة -في المدرسة بأسرها- التي طالبت أفرادها بعمل واجب منزلي، أتمَّ أغلبية أعضاء المجموعة كتابة قصة قصيرة خلال دورة البرنامج التي استمرت خمس جلسات، وتحسنت أعمالهم إلى حد بعيد من الجلسة الأولى إلى الجلسة الأخيرة، وعندما اضطر لُو إلى التغيُّب عن الجلسة الثانية، حلَّ محله معلِّم من المدرسة، وأثنى على مستوى مشاركة الطلاب.

لم يدهِش هذا لُو، فقد اختارت هذه المجموعة من الطلاب أن تكون في عنقوده، ومن ثم، كان الأرجح أن يشاركوا، ولكن لأنهم جميعًا كانوا مغرمين بالكتابة، كانت استجابتهم له بسبب خلفيته، أكبر مما كان سيحدث لو كان من يدير الجلسة معلم. وهذه هي قيمة إحضار المجتمع إلى الصف، وسبب أهمية أن يعرض أولياء الأمور إسهاماتهم على مدارس أطفالهم، وليس ثمة بديل لمعلم عظيم مدرَّب متفانٍ؛ فإن استطاع أحد أولياء الأمور أو أي فرد آخر في المجتمع أن يكمل ما تقدمه المدرسة، سيكون الجميع من الفائزين.

التحليق فوق الرأس

تحذير واحد؛ بينما يدعم الدليل بشدَّة قيمة مشاركة أولياء الأمور في المدارس، ثمة بعض الخطوط التي يفضل عدم اجتيازها، وحسب رأي باتريك إف. باسيت، رئيس الجمعية الوطنية للمدارس المستقلة، يحدث الإفراط في العناية بالأطفال عندما يتبنَّى أولياء الأمور أسلوب المروحية؛ أي: «التحليق فوق رأس طفلهم بلا انقطاع، والانقضاض عليه لإنقاذه عند ظهور أول مشكلة»[8].

يتحدث باسيت عن أولياء الأمور؛ هؤلاء الذين يمتدُّ اهتمامهم برعاية أبنائهم إلى حدٍّ أنهم يبررون تحكمهم في كل تفصيلة من تفاصيل نجاح الطفل، غالبًا على حساب نموه، وهو يشير إلى أن أخطر أنواع هؤلاء الأولياء هم آباء المروحية الذين يضغطون على المعلمين للحصول على درجات أفضل، أو ليلتمسوا الأعذار لسوء تصرف الطالب، بل وقد يصلون إلىالتهديد باتخاذ إجراء قانوني إذا عوقب طفلهم.

«إن الدرس الذي يتعلمه الطلاب من الإفراط في الرعاية هو التواكل مدى الحياة: لست قادرًا على خوض معاركي الخاصة ولا تحمل عواقب سلوكي السيئ؛ لذا أحمد الله أن والديَّ سينقذاني، ربما كان هذا سببَ أنَّ الكليات تبلغ عن أولياء الأمور الذين يسببون المشكلات عند محاولتهم إدراج أسماء أبنائهم في صفوف معينة، وأن أصحاب الأعمال يبلغون عن أولياء الأمور الذين يحاولون التفاوض حول عقود وظيفة أبنائهم الأولى، وأن عددًا متزايدًا من أولياء الأمور يفضلون عودة أبنائهم الكبار المتخرجين من الجامعات إلى البيت لتوفير المال»[9].

تتفق مع ذلك كريس مينو؛ المتخصصة في علم النفس في جامعة إنديانا، فعندما ترى الطلاب يشاركون في هذا النوع من علاقة الاعتماد المتبادل في مدَّة من حياتهم ينبغي أن يظهروا بوصفهم أفرادًا فيها، تجتهد للتحدث معهم. وتقرُّ كريس أن آباء المروحية يتصرفون دائمًا من منطلق مقبول ـاهتمامهم الطبيعي بأطفالهم، وإحساس بالصداقة مع أطفالهم لم تتمتع به الأجيال السابقة، والرغبة في حمايتهم منأخطارالعالمـ لكن يُتوقع أن يسبب هذا النوع من أولياء الأمور قدرًا كبيرا من الأذى، ولا يفيد إلا قليلًا.

عندما لا يعطى الأطفال مساحة للنضال في أمورهم الخاصة، فإنهم لا يتعلمون حل المشكلات على نحو جيد، ولا يتعلمون أن يثقوا في قدراتهم، ويمكن أن يؤثر ذلك في احترام الذات لديهم. المشكلة الأخرى التي يسببها عدم اضطرارهم إلى النضال، هي أنهم لا يمرون مطلقًا بخبرة الفشل، وربما ينشأ لديهم خوف طاغ من الفشل، ومن التسبب في خيبة أمل الآخرين بهم، ويمكن أن يؤدي أيٌّ من ضعف الثقة بالنفس، والخوف من الفشل إلى أمراض الاكتئاب أو القلق.

رغم أن مينو تتحدث تحديدًا عن الطلاب في سن الجامعة، فإن هذا ينطبق على أسلوب تربية أولياء الأمور عبر سنوات دراسة الطفل؛ فاستمرار ارتباطك بما يتعلمه طفلك أو طفلتك، وكيف يتم تعليمه أو تعليمها، مسألةٌ خطيرة، فأداء المهام بدلًا من طفلك، أو الإصرار على أنه

طالب مرتفع التحصيل شديد التهذيب، يثبِت بالدليل عكسَ ذلك؛ إن جعل صوتك مسموعًا في اجتماعات الاتحاد القوميِّ للآباء والمعلمين، وفي جلسات مجلس إدارة المدرسة، تجعل لديك ميزة إضافية، أما التدخل بثقلك طول الوقت للحصول على امتيازات خاصة لطفلك،فلا!

من البيت إلى المدرسة

ما أفضل طرائق التعاون بين المدرسة وأولياء الأمور؟ يبرز عددٌ كبير من الأمثلة التي عرضناها شراكةَ الوالدين وغيرهم من الراشدين مع المدارس في مشروعات مشتركة، أُطلق بعضها داخل المدارس، وجاء بعضها الآخر من خارجها، وساعدت جميعًاعلى إعادة صياغة العلاقات التقليدية بين المدارس والأسر.

في كتاب **نتاج عقولنا** أصف العمل المبتكر والروح الفريدة في بلو سكول، وهي مدرسة ابتدائية ومتوسطة في مانهاتن، أنشأتها مجموعة (بلو مان)، وهدف هذه المدرسة هو «إعادة تصور التعليم ليلائم عالمًا متغيِّرًا». ويقوم منهج هذه المدرسة على سؤالين: ما العناصر المهمة في تعليم يستحق أن تستثمر فيه الحياة التي سيعيشها أبناؤنا، ويرقى لصورتنا عن العالم الذي نريدهم أن يعيشوا فيه؟ كانت إجابة بلو سكول: تنمية «مجتمعات من المتعلمين المبدعين الذين يتسمون بالمرح والمودَّة، والذين يستخدمون التفكير الإبداعي الجريء لبناء عالم متناغم مستدام». ويقوم عمل المدرسة على منهج في التعليم قائم على السؤال، يرعى الإبداع، ويعزز التميز الأكاديمي، وينمي العلاقات الإنسانية، ويكون مصدر شغف متزايد بالتعلم.

تسعى المدرسة إلى مساعدة الأطفال على النمو والازدهار، عن طريق «إتاحة الفرص لإقامة صلات إنسانية عميقة تتغلغل في جوانب حياتهم كلها، ويدعم منهجنا التعليمي الأطفال عن طريق ممارسة الاحترام المتبادل، والتعاون، والقيادة، والمتابعة، والإصغاء، والنزاهة الشخصية، وتقدير الاختلاف، وفضِّ النزاعات، ونساعد أيضًا على تنمية المهارات الاجتماعية التي يحتاجها الأطفال للنجاح في العلاقات التي يشكلونها طول حياتهم»[10].

تسأل مديرة المدرسة أليسون غينز بيل Alison Gaines Pell: «ماذا لو ارتقتالمدرسة في مخاطبة عقولَ الأطفال بدلاً من تجاهلها؟ ماذا لو بني المنهج الدراسي على أسئلة الأطفال وتساؤلاتهم عن العالم، وعلى رغبتنا الإنسانية والفطرية في الإبداع والإنجاز؟ ماذا لو طوَّرنا

الممارسات التعليمية التي تنمِّي الإبداع والابتكار ولا تعوقه؟ ماذا لو تحررنا من الممارسات المعتادة التي تعطل بعض المدارس، ومن الاختبارات المقنَّنة التي شلت خطاب الأمة وممارساته، فأخرجت المدارس مخترعين وفنانين وصانعين للتغيير يتصرفون بجرأة وشجاعة في مواجهة عالم متغير؟ ماذا لو ربطنا التعلم في المدرسة بالحياة التي يتوقع أن يعيشها أطفالنا، أو الحياة التي نتمناها لهم؟».

في قلب بلو سكول إيمان بالشراكة، بين الأسرة والمدرسة، في تنشئة الأطفال وتعليمهم؛ إذ ينخرط أولياء الأمور في العمل داخل المدرسة وتنميتها طول العام، ولا يفعلون ذلك بوصفهم أولياء أمور الطلاب فقط بل بوصفهم متعلمين كذلك؛ يجتمع أولياء الأمور والطلاب والمعلمين وبقية العاملين في المدرسة؛ ليتعلموا وينشئوا صلات ويلعبوا معًا، وهذا جزء جوهري من الحياة المدرسية. وتشمل المناسبات الأسرية كل عام: مجموعات نقاش، ولقاءات بين أفراد المجتمع المحيط، ولقاءات غير رسمية، وأحداث رسمية ... لدعم رسالة المدرسة ورؤيتها، وإنشاء صلات بين النشطاء من الراشدين في إطار المجتمع الأكبر.

يُدعى أولياء الأمور في أثناء العام الدراسي للانضمام إلى موائد مستديرة، وغيرها من المناسبات، تهدف إلى:

- دعم رسالةبلو سكول التعليمية وأهدافها.
- تقوية الصلة بين البيت والمدرسة.
- مساعدة أولياء الأمور على أن يكونوا مساهمين ناشطين في المجتمع المدرسي.
- بناء مجتمع قوي بين الأسر.
- تيسير التواصل الفعال بين أعضاء مجتمع بلو سكول كلهم.
- تبنِّي فهم أعمقَ لإطار العمل التعليمي لبلو سكول.

إن علاقات العمل الوثيقة تلك بين المدرسة ومجتمع الشركاء وأولياء الأمور، ليست من باب العلاقات العامة أو الأعمال الترويجية؛ بل هي في قلب فلسفة المدرسة وفهمها لنفسها، فهي جزء جوهري من نجاح بلو سكول، في إعادة تصور التعليم والعالم الذي تريده، وتريد الأسر لأطفالها أن يعيشوا فيه ويحافظوا عليه، وليسوا وحدهم في هذا، فإن الاتحاد القومي للآباء والمعلمين هو أكبر وأقدم منظمة أمريكية تدافع عن الأطفال في ما يخص التعليم المدرسي؛ فهو

يضم ملايين الأسر والمعلمين وأفراد المجتمع، وقد صدرت عنه مجموعة من المعايير القومية لشراكات الأسر والمدارس، تعد نموذجًا للتفاعل الذي يتيح ارتقاء الطلاب، وهي تضم ستة معايير:

1. **الترحيب بالأسر كافة في المجتمع المدرسي:** الأسر مساهم نشط في حياة المدرسة، وتلقى الترحيب والتقدير فيها، وترتبط ببعضها، وبالعاملين في المدرسة، وبما يتعلمه ويفعله الطلاب في الصف.
2. **التواصل الفعال:** تدخل الأسر مع العاملين في المدرسة في اتصال متبادل مجدٍ حول تعلم الطلاب.
3. **دعم نجاح الطلاب:** تتعاون الأسر مع العاملين في المدرسة باستمرار، لتعزيز تعلم الطلاب، والنمو السليم في البيت والمدرسة. وتتيح فرصًا منتظمة لتقوية معرفتها ومهاراتها في إنجاز هذا بفاعلية.
4. **الدفاع عن كل طفل:** تُمكِّن الأسر لتكون قادرة على الدفاع عن أبنائها وأبناء الآخرين، وضمان تلقي الطلاب معاملة عادلة، وإتاحة فرص تعليمية تعزِّز نجاحهم.
5. **مشاركة السلطة:** الأسر والعاملون في المدرسة شركاء متساوون في القرارات التي تؤثر في الأطفال والأسر، ويشتركون معًا في بناء الأساس المعرفي، وفي صياغة السياسات والتطبيقات والبرامج واستحداثها.
6. **التعاون مع المجتمع:** تتعاون الأسر مع العاملين في المدرسة وأفراد المجتمع؛ لربط الطلاب والأسر والعاملين بفرص التعلُّم الممتدة والخدمات المجتمعية والمشاركة المدنية[11].

يقول أوثا ثورنتون رئيس الاتحاد الوطني للآباء والمعلمين: «لا يقتصر تفاعل الأسر على مساعدة الأطفال في عمل واجبهم المنزلي، وحضور الاجتماعات في المدرسة، ومراجعة المعلمين»، بل وإنه «يتضمن العمل مع مجالس إدارات المدارس المحلية، وحكومة الولاية والحكومة الفيدرالية؛ لضمان حصول المدارس على الموارد التي تحتاجها لتقديم تعليم بمستوى عالميٍّ لكل طالب»[12].

وقد دخلت وزارة التعليم الأمريكية في موضوع مشاركة الأسر، فأصدرت تقريرها **شركاء في التعليم: إطار عمل ثنائي لتمكين الشراكات بين الأسرة والمدرسة** (وهو عنوان ثقيل

الصياغة)[13]. تؤكد هذه الوثيقة أهمية التعاون بين الأسر والمدارس، وتضع قائمة تضم سلسلة من الشروط والأهداف والنواتج التي تعتقد أن أولياء الأمور والمعلمين ينبغي أن يسعوا إلى تحقيقها، ويصور إطار العمل عملية الانتقال من المشاركة غير الفعالة التي لا تملك فيها المدارس ولا الأسر القدرة على العمل معًا، بوساطة أربع كلمات تبدأ بحرف (C) في اللغة الإنجليزية: (القدرات Capabilities، والصلات Connections، والمعرفة Cognition، والثقة Confidence)، إلى شراكة فعالة تسمح للمدارس والأسر بالعمل معًا لتعزيز تحصيل الطلاب.

يرى المعلمون أن إطار العمل هذا يتيح الفرصة للإقرار بحكمة الأسر وترابطها، ويخلق ثقافة ترحب بالمشاركة الأسرية، وتيسر التفاعل بين أولياء الأمور والمدارس، بغرض الارتقاء بتعلم الطلاب، أما في ما يخص الأسر فبصرف النظر عن العرق والجنس والخلفية التعليمية والنوع الاجتماعي ـ الجندر ـ والفقر أو الحالة الاقتصادية، يتيح إطار العمل بيئة، يستطيع أولياء الأمور فيها، أن يدعموا أطفالهم ويشجعوهم ويدافعوا عنهم، مع قيامهم بدور نماذج للتعلم[14].

المشاركة الأسرية أمر ضروري، ولكنها لا تتم إلا إذا سمحت المدارس بذلك ويسَّرته، فلابد للمدارس ـ في أحيانٍ كثيرة ـ أن تبذل جهدًا متواصلًا لجذب أولياء الأمور في فريق عملها، وتتيح لهم ورش عمل، وتنظم لقاءات مباشرة معهم، وتبني علاقات ثقة تشاركية بين المعلمين والأسر وأعضاء المجتمع.

تقدم إيديوتوبيا، وهي منظمة غير ربحية، أنشأتها مؤسسة جورج لوكاس التعليمية، عشر نصائح للمعلمين، تجعل مدارسهم أكثر جذبًا، ويستطيع أولياء الأمور أن يسترشدوا بها في تعاملاتهم مع مدارس أبنائهم[15]:

- اذهب حيث يوجد أولياء أمور طلابك؛ استخدم مواقع التواصل الاجتماعي ـ مثل: فيسبوك وتويتر وبنتِرست ـ للحفاظ عليهم في دائرة الاتصال وتشجعيهم على التفاعل.
- رحب بالجميع؛ يجب أن تدرك أن كثيرًا من الأسر في مجتمعك ليسوا من أهل اللغة الإنجليزية، فاستخدم التكنولوجيا لتساعدك على التواصل معهم.
- استعن بالوجود الافتراضي؛ استخدم أدوات الشبكة العنكبوتية لفتح نوافذ افتراضية داخل الصف الدراسي. تستخدم إيدوتوبيا موقع التواصل الاجتماعي إدمودو Edmodo، وأداة إدارة التكليفات الدراسية بلاكبورد ليرن Blackboard Learn، وغيرهما.

- الهواتف الذكية، المدارس الذكية؛ تدعو إيدوتوبيا إلى استخدام هذه الأجهزة لاجتذاب مشاركة الأسر، وتوصي باستخدام مجموعات التراسل، وعدد من التطبيقات تيسِّر هذا الاستخدام.
- انتهز اللحظة الإعلامية؛ استخدم وسائل الإعلام المتاحة ـمثل صدور كتاب، أو فيلم جديد يتعلق بالتعليمـ كمنصة لإنشاء منتدى مفتوح لمناقشة الأنشطة المدرسية والإصلاح التعليمي.
- اجعل القراءة شأنًا أسريًّا؛ استخدم برامج مثل (القراءة عبر أمريكا) و(الكتاب الأول) و(فرق الخبرة)؛ لنشر القراءة وجعلها نشاطًا أسريًا.
- انقل الحوار إلى البيت؛ اعكس الحوار بين أولياء الأمور والمعلمين عن طريق جعل المعلمين يزورون بيوت الطلاب.
- اعقد مؤتمرات لأولياء الأمور يوجهها الطلاب؛ يُسمح للطلاب بإدارة لقاء أولياء الأمور والمعلمين، وبتقديم بعض أعمالهم، وعرض نقاط قوتهم وتحدياتهم وأهدافهم.
- ادفع الأسر إلى الحركة؛ ابتدع مناسبات مدرسية تشجع الرياضة واللعب بوصفهما نشاطًا أسريًّا.
- أقم شراكات مع أولياء الأمور؛ استخدم مجموعة متنوعة من الأدوات مثل إنشاء نادي كتاب يعتمد على أولياء الأمور، أو عمل تكليفات مدرسية تشمل لقاءات مع الأسر؛ من أجل اجتذاب أولياء الأمور إلى الانخراط في العمل المدرسي.

أُطلقت في أواخر التسعينيات مبادرة المدارس العامة، في مقاطعة لوس أنجلوس؛ لوضع منهج شامل لتحسين مستوى المدارس في الأحياء الفقيرة، وكان من أهم دروس هذه المبادرة إدراك الأهمية القصوى لمشاركة أولياء الأمور؛ إن تحقيق هذا الانخراط تحدٍ خاص في مدارس الأحياء الفقيرة؛ لأن كثيرًا من أولياء الأمور لا يجيدون الإنجليزية أو لا يعرفونها، إضافة إلى أن أغلبهم يعمل في أكثر من وظيفة، وليس لديه وقت لشؤون المدرسة أو لقاءات المعلمين.

فوق ذلك كله، غالبًا ما يشعر أولياء الأمور الذين لا يتحدثون الإنجليزية بالتهميش من جانب النظم المدرسية؛ إذ يقال لهم صراحةً: إن عجزهم عن التحدث بالإنجليزية يمنعهم من المساهمة في تعليم أبنائهم. نتج من هذه الدراسة برنامج (أسر في المدارس Families in

Schools) الذي يهدف إلى جمع أولياء الأمور والطلاب والمعلمين على هدف مشترك برغم العقبات كلها[16].

يترأس أوسكار كروز Oscar Cruz برنامج (أسر في المدارس)، وقد قال لي: نحن ندرك أهمية اشتراك أولياء الأمور لدعم أبنائهم وتعليمهم، وما لم نكن ندركه بالدرجة نفسها هو دور المدرسة في تعزيز هذه الصلة؛ فقد كانت مشاركة أولياء الأمور تُعدُّ مسؤوليتهم وحدهم. يأتي والد ليسأل عنمصادر تعليمية، لكنه يتحدث لغة أخرى، فينظر إليه عضو هيئة التدريس ويقول: عليك أن تتعلم الإنجليزية، فاذهب وتعلم الإنجليزية أولًا، بعدها نساعدك. وهذه عقبة تواجه أولياء الأمور. ويلزم تدريب تنمية مهنية للعاملين في المدرسة؛ حتى نضع إستراتيجية لجذب أولياء الأمور، بحيث نضمن أن يكون كل ولي أمر -يأتي إلى المدرسة- محلَّ ترحيب وتقدير.

فما أن تنعم النظر في طريقة تعامل التعليم مع أولياء الأمور، ستجد اهتمامات/ مصالح مشتركة راسخة، فهل يمكن أن يساعد إنشاء اتحاد على دعم التغذية الراجعة من أولياء الأمور بوصفها جزءًا من تقييمات المعلمين؟ هل يساعد على تعزيز صوت أولياء الأمور في مفاوضات المنطقة التعليمية في ما يتعلق بما ترتبط به من عقود؟ لكن البيروقراطية قوية جدًّا، وكذلك سياسات التعليم، وهي كثيرًا ما تطغى على الأمور التي تؤثر في تحصيل الطلاب.

لقد كنا ندرك أهمية أولياء الأمور، والسؤال هو: ما الظروف التي ينبغي أن تتغير في المدارس لتجعلها أشد دعمًا لأولياء الأمور، لا سيَّما في المجتمعات التي يسودها الفقر؟

يخاطب برنامج (الأسر في المدارس) هذه القضية على ثلاث جبهات؛ الأولى: وضع مواد مجدية ثقافيًّا، يمكن أن يستخدمها أولياء الأمور حتى يتعلموا كيف يصيرون أوثق ارتباطًا بمدرسة أبنائهم. الثانية: المساعدة في تدريب العاملين بالمدرسة؛ حتى ينشئوا ارتباطًا فعالًا مع أولياء الأمور. الثالثة: الدعوة إلى تغيير في السياسات على مستوى المنطقة التعليمية؛ لتشجيع الاستثمار في المبادرتين الأوليين. ثمة مناسبات تقوم فيها الأسر بإدارة عملية تدريب للمعلمين بنفسها، حينما تقصر ميزانية المدرسة عن إجراء هذا التدريب من طريق آخر.

يدرك أوسكار أن الطريق الوحيد للوصول إلى مشاركة أسريَّة أكبر هي مساعدة عدد أكبر من أولياء الأمور على المشاركة في تعليم أطفالهم في البيت، ولتحقيق ذلك أطلقوا برنامجين يستحقان الذكر؛ أحدهما (تحدي المليون كلمة)، وفيه ترعى المنظمة مسابقة في مناطق لوس

أنجلوس التعليمية؛ لتشجيع القراءة خارج الصف. ومشاركة أولياء الأمور أساسية في هذا الحدث؛ لأنهم يساعدون أبناءهم على صنع سجل نشاط والتوقيع على تقدمهم. أما البرنامج الثاني فهو (اقرأ معي)، وهي مكتبة للاستعارة يقدمون فيها عشرين حقيبة مليئة بالكتب إلى عدد كبير من الصفوف، ليأخذها الطلاب إلى منازلهم ويقرؤوها مع أسرهم؛ زاد وقت القراءة بمعدل عشرين دقيقة يوميًا، بفضل سهولة الحصول على هذه الكتب.

يقول أوسكار: «إضافة إلى ذلك، تدور مناقشةٌ رفيعة حول مشاركة أولياء الأمور، يمكننا مشاهدتها في الأخبار وفي السياسة على مستوى الولاية، يمكنك أن ترى أولياء الأمور يسيطرون على المدرسة ويطالبون بتغييرات فيها، ويحصل الناس على معلومات تجعلهم يتخذون خطوات استباقية، وأعتقد أن النقطة الإيجابية الأخرى هي أنه كلما حصل القادة اللاتينيون وقادة الأقليات على مواقع في السلطة، فإنهم يحملون معهم فهمًا دقيقًاللمشكلات القائمة، ويصوغون حلولًا لها».

يقول أوسكار: «يتم صياغة طريقة مشاركة ولي الأمر في المدارس، وثمة طرائق رسمية للغاية يكون لأولياء الأمور فيها صوت، وربما يكون هناك اتحاد للآباء والمعلمين، أو مجلس موقع المدرسة، لكن الفكرة الحقيقية لماهية التنظيم الديموقراطي ـــــحيث يكون هناك تدفق للمعلومات ليصنع الناس قرارات، وثمة مشاركات، وفهم مشترك، واحترام مشترك لم تتحقق بعد، ولكي يكون أولياء الأمور أولياء أمور، فلابد أن يكونوا على اطلاع، وهذه هي مسؤولية المدرسة».

كرَّس اوسكار كروز والعاملون في (الأسر في المدارس) أنفسهم لتغيير الدينامية بين أولياء الأمور ومدارس الأحياء الفقيرة، لسبب يرتبط بكل فرد: بغض النظر عن المكان الذي تعيش فيه، وعن حالتك الاجتماعية والاقتصادية، عندما يهتم أولياء الأمور اهتمامًا حقيقيًّا بتعليم طفلهم، يكون لدى هذا الطفل فرصة أفضل للنجاح والازدهار.

أحسن تعليم أطفالك

أعلى مستويات المشاركة الأسرية في تعليم الأطفال هو التعليم المنزلي الذي اكتسب قبولًا كبيرًا في السنوات الأخيرة، وبينما كان التعليم المنزلي يعد عالمًا خاصًّا بالشخصيات الغريبة،

فإنه يدخل حاليًّا المشهد الرئيس؛ فطبقًا لوزارة التعليم الأمريكية تلقى 3% تقريبًا من الأطفال في عمر المدرسة تعليمًا منزليًّا في العام الدراسي 2011م/ 2012م[17]. وثمة أسباب قوية لحساب التعليم المنزلي خيارًا مقبولًا، منها أنه يعالج عددًا من القضايا التي أثرناها في موضع آخر، تلك المتعلقة بشخصنة التعليم، عن طريق تجنب الاعتماد على التدريس الذي يراعي مواصفات الاختبارات المقنَّنة، ومنح الأطفال مساحة لاكتشاف أصدق رغباتهم واهتماماتهم. وعندنا من الأدلة ما يشير إلى أن الطلاب المتعلمين منزليًّا غالبًا ما يتفوقون على أقرانهم في اختبارات التحصيل الأكاديمي واختبار الكفاءة الدراسية.

كوين كمنغز Quinn Cummings هي مؤلفة كتاب **عام التعلم الخطِر** The Year of Learning Dangerously، وهو مذكراتها عن خبراتها في تعليم ابنتها أليس في البيت. وتقول فيه:

«ليس هناك من يعرف ابنتنا خيرًا من أبيها ومنِّي، فلم نستطع تجاهل تقاعسها عن العمل الجاد في المدرسة، وكما يقول الناس عندما تعوزهم التعبيرات المهذبة عن فكرة التكاسل والتأخر، فإنها لم تكن تحقق كامل إمكاناتها. في الوقت نفسه، كنت منزعجة من أن عبء الواجب المنزلي سيزيد عليها مع كل سنة، مما لا يتيح لها وقت فراغ تستكشف فيه رغبة مفاجئة، أو تتعمق في موضوع صادفها، أو تستغرق في نشاط لا هدف له، أو تصنع شيئًا لمجرد رغبتها في ذلك. كنت طماعة؛ إذ أردتها أن توسع عقلها وثقتها بنفسها، وفي الوقت نفسه أن تلعب مع أصدقائها، وتقرأ الكتب، وتستمع إلى الموسيقى، ويغمرها الملل جراء قضاء نهار طويل من دون مكان محدد تقصده أو شيء تفعله»[18].

تقدم كوين كمنغز هنا أكبر حجج التعليم المنزلي: وهي أنه يسمح لك أن تدفع طفلك إلى حيث يحتاج أن يُدفع ـ أليس ـ مثلًا كانت تتظاهر بأنها لا تستطيع إجراء مسائل القسمة التي بها بواقٍ عددية وفي الوقت نفسه، يسمح لك بمنح الأطفال مساحة كبيرة للارتجال والاكتشاف.

يؤيد لوغان لابلانت Logan LaPlante هذا المنظور، ولوغان مراهق يتلقى تعليمًا منزليًّا منذ الصف الرابع، ويشير بأن تعليمه بهذه الطريقة أتاح له الدخول في مناطق معينة، وهو لم يزل يتلقى تعليمًا عامًّا؛ يقول: «أنا بالفعل أركز على مناطق معينة، لكني لا أتجاهل أشياء أخرى؛ فما زلت أدرس موضوعات المدرسة كلها، لكنني أفعل ذلك بطريقة مختلفة، فإن منهجي الدراسي منهج خليط من عناصر شتى؛ فأنا أدرس الرياضيات بالطريقة التقليدية، لكن على

الإنترنت. بالإضافة إلى أنني أتعلم الرياضيات بوساطة التصميمات التي أعلمها في برامج تدريبية عملية؛ فنحن نقوم بكل ما هو مطلوب لكل صف دراسي».

يرى لوغان هذه الطريقة أكثر جدوى من خبرات أصدقائه الذين يتعلمون بالطريقة التقليدية. «يكافح أصدقائي كثيرًا لأنهم يخرجون من التاريخ مباشرة إلى الرياضيات فالعلوم أو غيرها، ولا يتعمقون في أي من هذه المجالات، وهم يفضلون لو تعمقوا وأدمجوا مواد مختلفة في موضوع واحد كما فعلت في فصل دراسيٍّ حكومي هذا الخريف، حيث درسنا موضوع الحكومة، وتعلمنا كل شيء عن تاريخها منذ الحرب الأهلية، وأيضًا مارسنا الفنون؛ أي دمجنا مواد كثيرة في مادة واحدة».

في عام 2013م، تحدث لوغان في إحدى فعاليات برنامج تي إي دي TED (Technology, Entertainment and Design) بجامعة نيفادا؛ قال: إنه تعلم عن طريق القرصنة؛ إذ استخدم مواد متنوعة كانت في متناوله حتى تجمع لديه منها منهج دراسي يرى أنه الأصلح له، وقال في حديثه: انتهزت فرصًا في مجتمعي بوساطة شبكة أصدقائي وأسرتي، وأنتهز الفرص لأعيش ما أتعلم، ولا أخاف البحث عن طرق مختصرة أو القرصنة، للحصول على نتيجة أفضل وأسرع[19].

بعض أولياء الأمور يعلمون أولادهم بأنفسهم، ويستكملون ذلك بدورات على الإنترنت، وبالاستعانة بمعلمين خصوصيين في مواد معينة، وبرامج إثرائية في مجتمعاتهم؛ لوغان -مثلًا- على صلة بمجموعة كبيرة من المعلمين في مجتمعه، وهو يفعل ذلك مع مجموعة أساسية من الأطفال الذين يتعلمون تعليمًا منزليًّا. «بعض المعلمين أساتذة كيمياء في جامعة نيفادا-رينو، وبعضهم أمهات كغيرهن يتلقين دروسًا في الصيف، مثل الدورة الدراسية الحكومية التي تلقيتها، وبعضهم يحملون درجة الماجستير في الأدب، وهم يعلموننا الكتابة، ونحن نلتقي لمدة ثمانية أسابيع، مرة أو مرتين أسبوعيًا».

للتعليم المدرسي تحدياته، وقد دخل الاتحاد القومي للتعليم بكل ثقله في الأمر مؤخرًا، فقال: يُعتقد أن برامج التعليم المنزلي، القائمة على اختيار الوالدين، تعجز عن إمداد الطالب بخبرة تعليمية شاملة[20]. ويخشى بعض أعضائه من أن يعطل التعليم المنزلي عملية التطبيع الاجتماعي، وأخيرًا فإنه يتضمن التزام أولياء الأمور بقضاء ساعات طويلة مع الأطفال كل

يوم، وهذا مستوى من الانخراط الأسريِّ لا يدركه إلا القليل عندما يرزقون أطفالًا، وينبغي ألا نستخف بهذه القضايا، لكن كثيرًا من أولياء الأمور يرون أن المميزات تفوق العيوب، والمؤكد أنه من الصعب إنكار أن التعليم المنزلي هو أسمى تعبير عن اشتراك الأسرة في التعليم المشخصن، وسواء كان التعليم في البيت أو في المدرسة، فإن الغرض هو جعله شخصيًّا ووافيًا.